

عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليب

أوالحق



عائد من الظلام!

- الحلقة الخامسة -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الخامسة -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



كان الجميع منخرطين بأعمالهم المعتادة في رتبة شديدة، لكن "ألبرت" كان متوتراً، يكاد يثبُّ قلبه من صدره كلما رَمَقه "ألفرد" بنظراته الخبيثة، الغاضبة حيناً، والباسمة حيناً بشكل لا يبعث على الارتياح، وإذا شعر "ألبرت" أن "ألفرد" يتلاعب بأعصابه، ولأنه يعرف جيداً أنه ليس ندّاً له -فهو مجرد رئيس للطلاب، بينما "ألفرد" قس مخضرم له مكانته-؛ فقد حرص على تجنب ملاقاته في أي مكان، وحين نفذَ هذا، وبات يغيب عن نظر "ألفرد"، تأكد هذا الأخير أن موعد المواجهة قد حان أخيراً، وأمر أحد الطلاب باستدعاء "ألبرت" إليه.

وتنهّد "ألبرت" بقنوط؛ فلا حيلة ولا فرار من الأمر، واتجه إلى مكتب القس "ألفرد" باستسلام، وطرقه بهدوء، ثم دخل بعد أن سمع الصوت المستعلي يأذن له بالولوج، ومثّل أمام القس خافضاً رأسه، يحاول ألا يبدو خائفاً.

كان "ألفرد" مسترخياً في جلسته، مستمتعاً بمحاولات "ألبرت" الطفولية في الثبات أمامه، وتركه يُظهر أقصى ما عنده من تظاهر برباطة الجأش، حتى إذا مرت دقائق على هذا النحو نهضَ إليه، وقال بنعومة خبيثة:

- والآن.. أتوقع أن ذكائك ومهارتك اللذين أوصلاك إلى منصب رئيس الطلاب: كافيان ليجعلاك تدرك مصلحتك!

واستدار "ألفرد" وتابع:

- مع ملاحظة أن علينا تذكّر القساوسة الذين رشّحوك لهذا المنصب.

والتفت إليه ثانية وقال:

- أليس كذلك يا "ألبرت"؟!

رد "ألبرت" بخفوت:

- أنتم والقس "مارك" والقس "بوبرت" يا سيدي.

صرخ "ألفرد" بنفاد صبر:

- كلمتي أثقل في الميزان منهم جميعاً!

ازداد رأس "ألبرت" طأطأةً، وقال بتلعثم:

- مفهوم.. مفهوم تماماً يا سيدي.

استعاد "ألفرد" هدوءه، وقال وهو يتمشى ببطء أمام "ألبرت":

- هذا جيد جداً، نأتي للأمر الذي ليس بمفهوم بعد؛ لماذا يقوم شاب صغير مثلك

بمساعدة قس مجنون مثل "مارك"؟!

قال "ألبرت" في كياسة:

- من واجبي أن أكون في خدمتكم جميعاً يا سيدي.

رمقه "ألفرد" بغیظٍ أخفاه سريعاً، ثم قال:

- لذلك أمرك أن تجيئني بصدق.

- تفضل يا سيدي.

دنا "ألفرد" منه وهمس بصوت كالفحيح:

- ما الذي يخطط له ذلك العجوز؟!

قال "ألبرت" برعب:

- لا أدري يا سيدي! لستُ مقرباً منه لهذا الحد!

زجر "ألفرد":

- ولماذا أخبرتني أنه كان في قاعة التدريب مع "مادو" في ساعة مغيرة لوقت

التدريب؟؟! أتخونه فيما يحلو لك فحسب؟؟!

قال "ألبرت" بكياسة:

- أنا لم أقل إنه كان مع "مادو"، بل أخبرتك فقط أنه كان مع أحد أشياءه الخاصة.

وما كاد "ألبرت" ينتهي من عبارته، حتى أدرك أيَّ حماقة تلفّظ بها، واتسعت عيناه وهو يرمق نظرات "ألفرد" المنتصرة، ثم قال:

- إذا فلم يكن مع "مادو"! شكراً لك يا "ألبرت"!

طأطأ "ألبرت" برأسه مرتبكاً، فربّت "ألفرد" على كتفه ساخراً وقال:

- لا تبتئس يا "ألبرت"، الأمر فقط أن ذكائك ما يزال دون ذكائي، ويمكن لذكائك أن يترقى إذا اخترت ألا تقف في وجهي، ولكنك ستفقدته تماماً إن سرت خلف ذلك الغبي "مارك".

لم ينطق "ألبرت" بشيء من شدة ذهوله وخوفه من هذا الموقف الذي لا يدري متى ينتهي لينجو منه، وطُرق الباب، فتنهد بارتياح ظاناً أنه الخلاص، وانتبه له "ألفرد" وأطلق ضحكة استهزاء، ثم هتف:

- ادخل.

ودخل رجل يرتدي ثياباً رسمية، مختلفة تماماً عن لباس أهل المعسكر التدريبي، فرمقه "ألبرت" باستغراب محاولاً تخمين هويته، وابتسم "ألفرد" بدبلوماسية، وفتح يديه على مصراعيهما مرحباً، وقال بطريقة مسرحية:

- أهلاً "فرانك"! أعرفك على أذكي وأفضل الطلاب عندنا: "ألبرت كونسج" رئيس طلاب المعسكر!

ابتسم "فرانك" بلزوجة مقبلة، ومد يده مسلماً، وقال:

- أهلاً "ألبرت"، تشرفتُ بمعرفتكَ!

فصاحفه "ألبرت" عابساً، وهو غير سعيد ولا متشرف أبداً بهذه المعرفة، وقال ببرود:

- شكراً!

تابع "ألفرد" بنفس أسلوبه الاستفزازي:

- "ألبرت"! من النادر أن يقف طالب مثلك أمام كاتب السجلات في الكنيسة!

ابتسم "فرانك"، واتجه نحو "ألفرد" قائلاً:

- في موعدني تماماً! أليس كذلك؟!

قال "ألفرد" مؤكداً:

- بلى يا "فرانك"! أنت دقيق دائماً!

غمز "فرانك" قائلاً:

- وأستحق نفحةً من كرمك أيها القس النبيل!

رمقه "ألفرد" بنظرة تحذيرية، ثم ابتسم وهو يقول:

- والآن لنرَ معاً أسماءَ أشياءنا الخاصة الصغيرة، المرشحة للمسابقة!

فتح "فرانك" السجل، ومضى يقرأ:

- "نايت"؛ الشيء الخاص للقس "بوبرت"،

"رافي"؛ الشيء الخاص للقس "ألفرد"،

"سام"؛ الشيء الخاص للقس "فرانكي"،

"مونيكاس"؛ الشيء الخاص للقس "مارك".

وهنا؛ نقل "ألبرت" نظراته الحائرة بين القس والكاتب، فالتفت إليه "ألفرد"، وسأله
باسماً:

- هل من مشكلة يا عزيزي "ألبرت"؟!

ازدرد "ألبرت" ريقه، وبدأ مختاراً فيما عليه قوله، ثم أجاب متلعثماً:
- كنت أظن.. كنت أظن..

ثم سكت، فأكل عنه "ألفرد" بلهجة وحشية:
- صحيح!! "مادو" هو المرشح الصحيح للقس "مارك"، وليس "مونيكاس"!!

زوى "ألبرت" بين حاجبيه، وقال مستغرباً:
- إذن.. كيف..

قاطعته "ألفرد":
- هذا ما سيخبرنا عنه "فرانك"!

قال "فرانك" بدبلوماسية:
- لقد حاول القس "مارك" رشوتي لأغير الاسم، ولكن واجبي المهني أبي عليّ ذلك!

كتم "ألفرد" ضحكة كادت تخرج منه؛ فلقد أخبره جاسوسه في الكنيسة بما جرى، وصحيح أن "ألفرد" تفاجأ من جرأة "مارك"، وثار وغضب، وكاد يكيد لكاتب

السجل، إلا أنه وبعد أن هدأ: قرر أن يكيد لـ "مارك" نفسه، ويجرده من دعم "فرانك"؛ فدفع له رشوة أعلى ليعيد اسم "مادو" كما كان.

ونظر "ألبرت" باستهانة إلى "فرانك"، وسأله متهمًا:
- ولماذا تخبر القس "ألفرد" بهذا بدلًا من القيادة؟!

تلثم "فرانك" متفاجئًا، فقال "ألفرد" بسرعة لإنقاذ الموقف:
- لا يجدر بنا كقساوسة أن نُخرج بعضنا بعضًا يا عزيزي!

سأل "ألبرت" مستغربًا:
- ما زلت لا أفهم علاقتكم بالأمر يا سيدي.

وضع "ألفرد" يده على كتف "فرانك"، وقال موضحًا:
- "فرانك" صديقي وقد استشارني، فأشرتُ عليه بالكتمان، والاكتفاء بإعادة الأمر إلى نصابه الصحيح!

كان "فرانك" قد استعاد توازنه بعد كلام "ألفرد"، بيد أنه كان ما يزال ممتعضًا من "ألبرت"؛ فعزم على تسديد ضربة إليه؛ فقال:

- أخرى بنا أن نتساءل كيف لم يصلك الخبر من داخل المعسكر يا جلالة القس!
في النهاية: من أعمال رئيس الطلاب معرفة الخارج والواجب! إلا إن كان بريق المال
قد تسبب في نومه عن ذلك!!

هتف "ألبرت" بسرعة:

- لا ترميني بجارك؛ أنا مسؤول عن خروج ودخول الطلاب، لا القساوسة!!

قال "الفرد" ليحتوي الموقف ثانية، وبخبثه المعهود:

- لا تتسرع يا "فرانك"! إن "ألبرت" هو أول من لفت نظري إلى تغيير شخصية الشيء
الخاص المرشح للمسابقة، وأطلعني فوراً على الموضوع؛ مما دفعني للشك فالتواصل مع
جاسوسي.. الأمين!

تجاهل "فرانك" إشارات "الفرد"، لا سيما وهو عاجز عن معرفة هوية ذلك
الجاسوس، والذي له على ما يبدو صلاحية للتجوال المريح في شتى الأماكن وبين
السجلات!! وقد استأثر "الفرد" باسمه دونه؛ فلم يكشف له عن شخصيته، بينما نظر
"ألبرت" إلى "الفرد" متفاجئاً مما قاله عنه، فسدد له هذا الأخير نظرة حادة واثقة،
وتابع:

- إنه مخلص للقوانين، ومطيع لي تماماً، أليس كذلك يا عزيزي "ألبرت"؟!

جمع "ألبرت" ما استطاع من شتات نفسه، وقال مرتبكاً:

- هـ.. هذا واجبي يا سيدي!

قال "فرانك" مبتسمًا:

- إذا فقد انتهى الأمر، ولم يعد ثمة داعٍ لتأخري أكثر من ذلك عن عملي.

قال "ألفرد":

- إلى اللقاء يا عزيزي "فرانك"!

ضحك "فرانك" وقال غامرًا:

- لقاء قريب على عشاء الليلة يا سيدي القس!

دمدم "ألفرد" من بين أسنانه:

- فهمت! فهمت أيها الطماع الأكل!

وغادر "فرانك"، وأغلق الباب خلفه، وما كاد يفعل حتى هتف "ألبرت" وهو

متضارب المشاعر مشتت التفكير:

- ما كان سببُ رؤيتي لكل هذا يا سيدي!!؟

قال "ألفرد" مبتسماً بخبث:

- أردتُك أن تكون الشاهدَ الوحيدَ يا بني...

وتابع بلهجة تحذيرية قاسية:

- لأضمنَ أن العجوز الماكر "مارك" لن يعرف شيئاً من تفاصيل مفاجأتي الصغيرة له!! هل هذا واضح؟!!

شعر "ألبرت" بالاختناق من كل هذا الضغط، وهمس:

- واضح جداً يا سيدي.

قال "ألفرد" ساخطاً:

- وعسى أن تفهم في أية ورطة وأية قضية تزوير كان سيزجّ بك أيها الغافل!

- أنا.. أنا لم تكن لي أية علاقة!

قال "ألفرد" دون اكتراث، وهو يشعل سيجارة، ثم ينفث دخانها في وجه "ألبرت" المذعور:

- يصعب إقناع الكنيسة بهذا! مَنْ كان طرفَ خيطٍ في أمر ما، فهو سبب في حياكة الثوب كله! وأمثالك مهما بلغوا، فسيكونون كبشَ فداء عند أية حاجةٍ

ملحّةً لذلك؛ إذ الإيقاع بأيّ قس ليس بالسهولة التي تعتقدها حتى وإن كان مخطئاً؛ يمكنك أن تكون أنت سبب المشكلة لتفضيلك أحد زملائك مثلاً على الآخر! ومن يدري؟ ربما قدّموا لك رشوة، أو وعدوك بمساعدتك في انقلاب مستقبلي ما، أو أي شيء في هذا الصدد!

كان "ألبرت" مصعوقاً جاحظ العينين، وقد جفّ حلقه تماماً، بينما تابع "ألفرد" وهو يشير بسيجارته نحوه:

- عليك أن تكون ممتناً لإنقاذك لك! سنرى كيف ستردّ لي هذا المعروف!!

قال "ألبرت" ممتعضاً، وقد وجد صوته أخيراً:

- شكراً يا سيدي!

أشار "ألفرد" إلى الباب، وقال:

- يمكنك الانصراف!

دمدم "ألبرت":

- أخيراً يا سيدي!!

ابتسم "ألفرد" ساخرًا، وانصرف "ألبرت" محبطًا خائفًا؛ كان مشوشًا مختارًا؛ إذ إنه مجرد طالب لا يملك ترف الاختيار؛ فإذا أمره أي قس بأمر ما فلا بد له من طاعته، ولا يمكنه الرفض بذريعة القوانين، إذا لاحظنا أن هذه القوانين موضوعة من قبل القساوسة أنفسهم!!

وقدح بصيص أمل في عقله، فشرّد فيه مفكرًا، ثم قال:

- الحل عند "مادو"! عساه يكون شراب شوكولا في هذا المأزق! إذا نجحت الخنفسة المسماة "مادو"؛ فسيكون كل شيء على ما يرام؛ "مارك" الخائف من الفشل، و"ألفرد" الذي صار يحب القوانين فجأة! وأنا.. سأستعيد راحتي قبل كل شيء!!

(١٢)

لم يعرف "مارك" أبدًا بما جرى، ولم يجرؤ "ألبرت" على إخباره بشيء، وكان يرمقه بخوف وهو ينشط في تدريب "مونيكاس"، الذي اتضح أنه البديل في المسابقة، وليس محض طالب يتدرب كما زعم له "مارك".

ودأب "ألبرت" على زيارة "مادو" والاطمئنان عليه كلما سنحت له الفرصة، وكان "مادو" مستغرباً من هذا اللطف المفاجئ، إلى أن قال له "ألبرت" مرة:
- أنا في ورطة يا "مادو"، وأحتاج إلى مساعدتك.

استغرب "مادو"، وقال:

- أنت تحتاجني أنا؟! ولكنني مجرد...

زفر "ألبرت" وقال:

- مجرد شيء خاص تافه، وصرصار أسود لا قيمة له ولا وزن، ولكنني أحتاجك مع ذلك.

شعر "مادو" بالحزن بعد أن ظن أن "ألبرت" كان لطيفاً معه بغرض الصداقة، والآن تبين حقيقة الأمر! فقال باستسلام:
- أنا مُصْغ.

قال "ألبرت" باندفاع:

- عليك أن تنجح في الامتحان الكبير يا "مادو"!

نظر إليه "مادو" متحيراً، وسأل:

- الامتحان الكبير؟! ظننتُ أنني قد أُعفيتُ منه! فلم يعد القس "مارك" يكلمني عنه!

ابتسم "ألبرت" ساخراً وقال:

- ومتى عاودَ زيارتك ليكلّمك في أي شيء؟!

وتابع جاداً:

- لقد أعطاك فترة استراحة فقط؛ عساك تتخلص من كوايبسك وتنجح!!

شرد "مادو" بعيداً؛ كان الحلم قد تكرر معه كثيراً، ولكنه لم يعد ينزعج منه؛ إذ اعتبره جزءاً من أحداث يومه التي لا مناص له منها، ولم يجد أحداً مهتماً بأمره فلم يعد يتحدث بشأن ما يراه، وأفاق من شروده على صوت "ألبرت" الذي كان يكافح لهجة الرجاء بالغطرسة قائلاً:

- سأتضرر أنا إن فشلت أنت!

سأل "مادو" مستغرباً:

- لماذا؟! ما هي علاقتك؟!

احتار "ألبرت" في الجواب المناسب، فقال:

- لا عليك من هذا، فقط انجح!! أرجوك!!

وفُتح الباب، وظهر القس "مارك" غاضباً مهتاجاً، وإذا رأى "ألبرت" فقد صبّ جام غضبه عليه صارخاً:

- ماذا تصنع أنت هنا مع "مادو"!!؟

وثب "ألبرت" فزعاً، وهتف:

- لقد.. لقد طلب مني القس "ألفرد" أن أشجع "مادو" على التدريب قبيل الامتحان يا سيدي!

- القس "ألفرد"!! "ألفرد" طلب منك هذا؟!

أجاب "ألبرت" بخوف:

- نعم؛ قال بأن المهلة التي منحتها لـ "مادو" قد انتهت، وربما مشاغلك أنستك هذا، فأرسلني لمساعدتك في حثّ "مادو"!! إنه يريد مساعدتك!

زجر "مارك" ساخراً:

- نعم! يريد مساعدتي! وأكثر مما تظن!!

وأردف صارخاً، وقد فقد كل قدرة له على الاحتمال:
- متى سيكشف ذلك الـ "الفرد" عن التدخل في شؤوني؟!!

والتفت إلى "مادو"، وهتف بعنف:
- وأنت أيها الصرصار!! كيف حالك اليوم؟!!

همس "مادو" برعب:
- بـ.. بخير يا سيدي.

- سنرى شكلَ هذا الخير أيها الأحمق! هيا تعال والحق بي!

وخرج كالعاصفة من الغرفة، بينما كان الطالبان متلاحقي الأنفاس من شدة
الذعر.

وتبادلا النظرات الوجلة، ثم انطلقا ليأخذ كلُّ منهما مكانه حسب عمله.

وفي الساحة؛ اجتمعت الأشياء الخاصة، ووقف "مادو" مغمض العينين، وهو يتم
لنفسه:

- لن أسقط! لن أسقط! لن أسقط!

غير أن "ألبرت" ظهر مجدداً وهو يهرول باتجاه القساوسة الجالسين على مسافة من الأشياء الخاصة، ورمقوا باستغراب "ألبرت" الذي وقف لاهثاً، وسأله "ألفرد":

- ما وراءك يا "ألبرت"؟! ما هذه الحالة التي أنت عليها؟!

هتف "ألبرت" بصوت لاهث متقطع:

- سيدي! بالبواب جندي من الجيش يطلب مقابلتكم فوراً!

وقف القساوسة جميعاً بسرعة، وتبادلوا النظرات؛ إذ ليس من المعتاد أن يقصدهم الجيش إلا لأمر شديد الأهمية، وقال "ألفرد" بحزم:

- تأجل التمرين! نظم عودة الطلاب إلى مهاجعهم فوراً يا "ألبرت".

- حاضري يا سيدي!

والتفت "ألفرد" إلى القساوسة وقال:

- اتبعوني.

سار الجميع خلفه، وإن كانوا ممتعضين من تصرفاته كقائد لهم!

وفي قاعة خاصة؛ دخل الجندي مع مرافقين اثنين، يمسكان بشخص يرتدي أفغانيةً رمادية، مكبلَ اليدين، مكتمَ الفم، ويرمق الجميع بنظراتٍ فيها من التحدي والإصرار الشيء الكثير.

نظر "ألفرد" إليهم باستغراب، وسأل الجندي الأول:

- ما الأمر؟! ومن هذا؟!

قال الجندي بسرعة:

- سيدي، لا وقت لدي ولا لجنودي؛ فلدينا مهمات لم ننجزها بعد، وتعرفون حجم التعاون الذي بيننا، والخدمات الكثيرة التي قدمناها لكم...

قاطعته "ألفرد" منزعجاً:

- نعم نعم.. اختصر؛ فوقتنا أضيقُ من وقتك!

تجاهل الجندي إهائته، وتابع بإيجاز:

- نريد منكم إبقاء هذا الأسير في سجنكم، والتحقيق معه.

ابتسم "ألفرد" بنخبث، وجلس القرفصاء أمام الأسير، وقال:
- يبدو الأمر مسلياً!

ورفع رأسه إلى الجندي متسائلاً:
- لكن .. كيف استطعتم اعتقاله!!؟

قال الجندي:

- حصل اشتباك مفاجئ مع المثلثين، وقد قتلنا اثنين في محور آخر، واشتبكنا مع هذا وشخص معه، ولكنهما أصيبا، وتمكنا من اعتقال هذا، غير أننا فقدنا أثرَ صاحبه، ولأننا خسرنا العديد من الجنود خلال الاشتباك، وابتعدنا كثيراً عن مركزنا؛ فلذلك آثرنا وضعه عندكم لتحقيقوا معه وتستجوبوه، ريثما نمشط المنطقة بحثاً عن صاحبه، وننجز بعض الأعمال الأخرى قبل العودة.

نظر "ألفرد" إلى العينين المتحديتين، وقال:
- خسرتم الكثير من الجنود بسبب أربعة مثلثين!! هذا لا يبشر بخير أيها الحمقى!

وتابع بعد صمت يسير:
- لا عليك! سأحقق معه بنفسي!

وحاول أن يمدّ يده نحو وجه الأسير، فزجر في وجهه، فارتعد "ألفرد" قليلاً، ثم قال
بحبث:

- يبدو أننا سنقضي وقتاً ممتعاً!

وأضاف في نفسه:

- كما أنها فرصة ممتازة لزيادة مكائتي والظفر بالمنصب العالي!

واستقام واقفاً، وقال:

- يمكنك الانصراف أيها الجندي، سوف..

فتدخل "مارك" هاتفاً:

- .. نقوم جميعاً بالتحقيق معه.

واستدار إليه "ألفرد" بحنق، ثم قال بسخط:

- نعم كما قال القس "مارك"!

وتبادلا النظرات الحاقدة، ثم أمر "ألفرد" بوضع الأسير في الزنزانة، وانصرف
الجنود مسرعين.

انتهت الحلقة الخامسة

...يتبع

